# بهاء الدين ابن شداد: حياته وآثاره

**علي عبد الله أحمد النعيم***

## الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف ببهاء الدين ابن شداد ودراسة سيرته لما كان له من دور كبير في حفظ تاريخ الامة الاسلامية وتاريخ أبطالها.

كما تهدف الدراسة إلى توضيح أن بهاء الدين ابن شداد من أوثق المصادر التي أرخت للسنوات الأخيرة من حياة صلاح الدين الأيوبي، فقد كان من أقرب الشخصيات لصلاح الدين. فهو مستشاره والمطلع على حركته دون تحيز ولهذا قلده صلاح الدين منصب قاضي القضاء.

وبالإضافة لما تقدم، توضح الدراسة حرص بهاء الدين – كغيره من العلماء –على تنويع مصادر علمه. وتعدد اهتماماته بين المشاركة في الأحداث السياسية والتأثير فيها والتفرغ للتأليف والتدريس. ولهذا تدعو الدراسة الى الاهتمام بمؤلفاته وتحقيقها لتوضيح ما لم تكشفه الدراسات التي حققتها من قبل.

* أستاذ مشارك كليه التربية حنتوب – جامعة الجزيرة.

تمهيد:

هذه الدراسة عن قاضي القضاة بهاء الدين ابن شداد المتوفى سنة 632هـ، وهو من الرجال الذين خدموا السلطان صلاح الدين الأيوبي. وقد التحق بخدمته سنة 584هـ- وامتدت خدمته له حتى سنة S89 هـ. وهي السنة التي توفّي فيها صلاح الدين. وتكتسب شخصية بهاء الدين أهميتها لعدد من الأسباب: منها أنه أوثق من أرخ للسنوات الأخيرة من حياة صلاح الدين الأيوبي، بالإضافة لمآثره الشخصية ومؤلفاته والمكانة التي تولاها عند صلاح الدين وعند أبنائه من بعده.

ولم أجد فيما قرأت دراسة خصصت في موضوع هذا البحث " بهاء الدين ابن شداد وآثاره"، إلا ما كتبه الدكتور جمال الدين الشيال في مقدمة تحقيقه لكتاب "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية "[1]. وقد اقتصر فيها على الخطوط العامة لسيرة هذا الرجل، واكتفى بما يخدم موضوع التحقيق .

أما المصادر التراثية التي اعتمدت عليها لتحقيق سيرة بهاء الدين ابن شداد واثاره، فأهمها كتب معاصريه وتلاميذه. ولعل أقدم المطبوعات التي وصلت إلينا مما تحدث مؤلفوها عن سيرة ابن شداد هي:

1. كتاب التكملة لوفيات النقلة لعبد العظيم المنذري المتوفى سنة 656هـ .
2. كتاب تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين لأبي شامة المقدسي المتوفى سنة 665هـ.

[1] انظر : بهاء الدين ابن شداد ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ، ط ، القاهرة 1964م ، ص3- 15.

3. كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان المتوفى سنة 681هـ .

4. كتاب مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل المتوفى سنة 697هـ،

وهؤلاء جميعاً ممن عاصروا ابن شداد وتلمذوا له، وسمعوا منه، ورووا عنه. أما المنذري صاحب التكملة فيقول عنه:" واجتمعت به عند ضريح الإمام الشافعي رضي الله عنه واستخبرته مشافهة وسألته عن مولده"[1]. أما أبو شامة المقدسي فيقول:" وكنت قد اجتمعت بابن شداد وأجاز لي جميع ما يرويه، ثم سمعت عليه بمصر وعند قبة الإمام الشافعي رحمة الله تعالى سنة ثمان وعشرين وستمائة "[2] أما ابن خلكان فهو أكثر من فصّل القول في سيرة أستاذه ابن شداد، وتقع ترجمته له في نحو سبع عشرة صفحة من كتاب وفيات الاعيان[3]. وقد كان مصدره في هذه السيرة ما كتبه ابن شداد عن نفسه في بعض مؤلفاته التي لم تصل إلينا، أو في المخطوطات التي سمعنا عنها و لم نرها[4]". وقد مكث ابن خلكان نحو عشر سنوات عند ابن شداد في مدرسته الشافعية، بحلب وانفرد بالتأريخ للأيام الأخيرة من حياة أستاذه، وقد لازمه إلى حين وفاته،[5] وقد نقل عن ابن خلكان كل من كتب عن بهاء الدين ابن

[1] ا انظر: زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف، ط 2 مؤسسة الرسالة، بيروت، ج 3 ، ص 385

[2] انظر : أبو شامة شهاب الدين أبو محمد عبدالرحمن أبو شامة المقدسي، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، ط دار الجيل ، بيروت، د.ت، ص 163.

[3] انظر ابن خلكان أبو العباس شمس أحمد بن محمد أبي بكر بن خلكان، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، ط دار الثقافة ، بيروت ، د.ت، ج 7 ، ص 84-1000.

[4] "المصدر نفسه 84/7 ويصدر ابن خلكان ذلك بقوله " ويقول ابن شداد في بعض تواليفه ".

[5] انظر وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، 90/7.

شداد، وذلك واضح في المؤلفات والتراجم منذ القرن الثامن الهجري إلى يومنا هذا.

أما ابن واصل صاحب كتاب مفرج الكروب فقد مكث في حلب سنتين وتتلمذ لابن شداد وكتب ترجمة وافية عنه"[1]، وانفرد فيها ببعض الأخبار عنه كما نبين من بعد. وقد بحثت جاهداً أن أجد ترجمة لابن شداد، بجانب تلك المصادر التي ذكرتها، عند تلميذه كمال الدين ابن العديم المتوفى في سنة 660هـ، الذي ذكره كثيراً في ثنايا كتابه: بغية الطلب في التاريخ يوردها في كتابه سماعاً. وشواهد ذلك عنده كثيرة منها قوله عن بعض من ترجم لهم: "واجتمعت به في مجلس شيخنا قاضي القضاة أبى المحاسن يوسف بن رافع.... بمدرسته بحلب[2] ويقول :" سمعت شيخنا قاضي القضاة أبا المحاسن يوسف بن رافع بن تميم يقول "كان الشيخ حماد البوازيجي رجلاً صالحاً"[3] وقوله: " حكى لي شيخنا الصاحب قاضي القضاة أبو المحاسن يوسف بن رافع"[4]، وقد تتبعت ذلك في كثير من أجزاء الكتاب.

وأرجح أن تكون له ترجمة في بعض الأجزاء المفقودة من كتاب ابن العديم إذ إن الأجزاء الموجودة الأن تنتهي بحرف السين[5]. ولا شك أن لهذه الترجمة إن وجدت أهمية كبيرة لأن ابن العديم من أوائل من تتلمذوا للشيخ.

---

[1] انظر: ابن واصل جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق د. حسين محمد ربيع، ط دار الكتب، القاهرة، ج 5، ص 89-92.

[2] - انظر . ابن العديم كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق د. سهيل زكار، دمشق 1988، ج5، ص 2228.

[3] المصدر السابق 291/6

[4] المصدر نفسه 4398/10

[5] مفسخ انظر المقدمة التي كتبها الدكتور زكار 7/1.

فتلك جملة المصادر الأولى التي ترجمت لابن شداد وإلى جانب ذلك فقد ترجمت له كتب طبقات فقهاء الشافعية ومنها طبقات الشافعية الكبرى للسبكي المتوفي سنة 771هـ، وطبقات الشافعية للأسنوي المتوفي سنة 772 هـ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة المتوفي سنة 851هـ. وله غير ذلك تراجم في كثير. من المصادر التاريخية، وطبقات القراء وكتب التراجم من مثل: تتمة المختصر لابن الوردي المتوفي سنة 749هـ، ومرآة الجنان لليافعي المتوفي سنة 768 هـ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي المتوفى سنة 748هـ وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري المتوفى سنة 833هـ، وغيرها.

وقد اطلعت أيضاً على المؤلفات الحديثة التي ترجمت لابن شداد مثل: كتاب إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء لمحمد بن راغب الطباخ الحلبي المتوفى سنة 1951م، وميزة هذا الكتاب أنه يتقصى أخبار أثار ابن شداد وغيره في حلب إلى يومنا هذا، وكذلك أخبار مخطوطات المؤلفات، وكتاب الأعلام لخير الدين الزركلى، ودائرة المعارف الإسلامية.

وقد كان منهجي في هذه الدراسة. السعي الجاد للوصول إلى كل ما كتب عن بهاء الدين ابن شداد قديماً وحديثاً، ولعلي قد حصلت على كثير مما هو مطبوع، وتعسر الحصول على بعض المخطوطات التي وردت الإشارة إليها في ثنايا بعض الكتب المختصة مثل الأعلام للزركلي"[1] وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان[2] وغيرهما. وحاولت أن أدقق في هذه الأخبار وأربط بينها

[1] ا انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ط 6 ، دار العلم للملايين، بيروت 1984م ، ج 8 ، ص 230.
[2] انظر كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ، نقله إلى العربية يعقوب السيد بكر وراجعه رمضان عبد التواب ،ط 2، دار المعارف مصر، د.ن، ج6، ص 11-14

وأرجح لتستبين لي السيرة الصحيحة لبهاء الدين ابن شداد والأخبار الوافية عن مؤلفاته، وينقسم هذا البحث إلى تمهيد ومبحثين وخاتمة. أما التمهيد فهو الذي أكتبه الآن. أما المبحث الأول فقد خصصته لسيرة بهاء الدين ابن شداد: نسبه ومولده وثقافته وشيوخه- وعمله في التدريس وتلاميذه، وصلته بالسلطان صلاح الدين وبأبنائه من بعده. أما المبحث الثاني فقد تكلمت فيه على آثار بهاء الدين ابن شداد ومؤلفاته ومنهجه في التأليف خلال كتابه: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية. وتحدثت في الخاتمة عن أهم نتائج هذه الدراسة، أرجو أن تكون هذه الدراسة محاولة في سبيل الوصول للحقيقة من مصادرها راجيا أن ينفع الله سبحانه بها من يقف عليها من الباحثين.

والحمد لله أولاً و آخراً والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

## المبحث الأول

## سيرة بهاء الدين بن شداد

### (أ) نسبه:

بهاء الدين ابن شداد اسمه يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد بن عتاب الأسدي– نسبة إلى قبيلة أسد – ولقبه بهاء الدين. وكان يكني اولاً أبا العز ثم غير كنيته وجعلها أبا المحاسن ونسبه هذا متفق عليه بين المصادر التي وقفت عليها.[1] أما الاسم الذي عُرف به وهو "ابن شداد" فليس في نسبه من جهة أبيه وإنما جاءه من أن والده توفي وهو صغير السن فكفله جده لأمه " شداد " فنسب إليه،[2] وهو موصلي ولد بالموصل ونشأ فيها. وكان شافعي المذهب، بل كان من فقهاء الشافعية المعدودين. وعاش شطراً كبيراً من حياته في حلب فنسب إليها،[3] وهو معروف في كل المصادر بكنيته الاخيرة "أبو المحاسن" إلا أنه عُرف في بعضها بأبي العز، كما في مرآة الجنان،[4] ولم يكن كتاب كشف الظنون دقيقاً في ضبط كنيته في المواضيع المتفرقة التي ذكر فيه، فهو تارة " أبو العز" وتارة أبو العزيز" في غير ما موضع.[5] ويطمئن

---

[1] انظر وفيات الاعيان 84/7 والتكملة لوفيات النقلة 385/3 – ومفرج الكروب في اخبار بني أيوب 89/5- والذيل على الروضتين ص 163- وانظر السبكي – تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب على بن عبد الكافي السبكي " طبقات الشافعية الكبرى" تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو وآخر، ط 1 – عيسى البابي الحلبي وشركاه د.ت، ج 8، ص 360، وكذلك انظر الجزري: شمس الدين أبو الخير محمد ابن الجرزي" غاية النهاية في طبقات القراء " تحقيق برجشتراسر، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 2، ص 395 وغيرها.

[2] انظر وفيات الاعيان 84/7

[3] انظر مجير الدين الحنبلي أبو اليمن مجير الحنبلي، الانس الجليل بتأريخ القدس والخليل، ط دار الجيل، بيروت، 1973، ج 2، ص 10101-102.

[4] انظر اليافعي أو محمد عبد الله بن اسعد بن سليمان اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط2 ، منشورات مؤسسة الاعلمي، بيروت 1970 ، ج 5 ، ص 82.

[5] انظر حاجي خليفة مصطفى أفندي المعروف بحاجي خليفة، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، ط 3 المطبعة الاسلامية، ظهران، 1967، ج750/1 و ج 2816/2- 1015ز

الباحث في نسب ابن شداد إلى أنه أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد بن عتاب، الأسدي، الموصلي، الحلبي، الشافعي.

**(ب) مولده ونشأته:**

ينقل المنذري صاحب التكملة أنه لقي ابن شداد عند ضريح الإمام الشافعي وسأله عن مولده فأجابه ابن شداد بأنه ولد في شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة. ويضيف المنذري أنه نقل إليه من طريق آخر أن ابن شداد قال:" في العاشر من رمضان[1]" ولعلها أوثق رواية عن تاريخ ميلاده بالإضافة لما ذكره ابن خلكان من أن ولادة شيخه كانت بالموصل ليلة العاشر من رمضان سنة 539هـ [2]، وقد نشأ يتيماً إذ توفي والده وهو صغير فكفله جده لامه. وكانت نشأته بالموصل أيضاً، وحصل على قدر كبير من تعليمه بها. ويذكر ابن خلكان أنه ليس له ولد ولا قرابة ولم يكن له وارث،[3] ولعله يعني بالقرابة من جهة أبيه، وقد انفرد ابن واصل بالإشارة إلى زوجاته قال :"وتزوج ابنتي الشيخ الصالح عبد الرحمن بن علوان المعروف بابن الأستاذ، واحدة بعد الأخرى – لما ماتت الأولى تزوج الثانية – كانتا في غاية الصلاح والدين، لم تلد واحدة منهما له ولداً.[4]

**( ج ) ثقافته وشيوخه:**

[1] التكملة لوفيات الاعيان 385/3
[2] وفيات الاعيان 847/7
[3] المصدر السابق 89/7
[4] مفرج الكروب في أخبار بني أيوب 5/91

بدأت صلة أبي المحاسن بالعلم منذ صغره، إذ حفظ القران الكريم في الموصل واشتغل بالعربية وعلومها[1] وأعقب ذلك بقراءة القرآن بالقراءات السبع. وكان عارفاً بالتفسير وبالحديث النبوي الشريف وشروحه وبالفقه"،[2] وقرأ غالب كتب الأدب كما يقول عن نفسه فيما ينقله ابن خلكان[3] وله بالإضافة لكل هذا معرفة واسعة بالتاريخ. [4] وكان يحتفظ بإجازات من كثير من العلماء.

أمّا شيوخه فقد تحدث عن تسعة منهم في بعض كتبه التي نقل عنها ابن خلكان يقول: " فهذه أسماء من حضر في خاطري. وقد سمعت من جماعة لم يحضرني. وجماعة شذت عني طرقهم فلم أذكرهم، إذ كان في روايتهم عند هذا الكتاب. هؤلاء غنية"[5] وسوف نذكر هنا المشايخ الذين ذكرهم ابن شداد فيما ينقله عنه ابن خلكان، ثم نتبعهم بمشايخه الذين تحدثت عنهم المصادر الأخرى.

**1) يحيى بن سعدون القرطبي:**

وقد مكث ابن شداد عنده إحدى عشرة سنة حتى شهد له بأنه ما قرأ عليه أحد أكثر مما قرأ، يقول ابن شداد فيما ينقله ابن خلكان "وعندي خطه بجميع ما قرأت عليه في قريب من كراسين. وفهرست ما رواه جميعه عندي وأنا

[1] انظر وفيات الاعيان 89/7

[2] ا انظر : الأسنوي ، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الاسنوي ، طبقات الشافعية ، تحقيق عبد الله الجبوري،ط1 ، مطبعة الإرشاد ، بغداد 1971 ، ج 2،ص 115 —116.

[3] وفيات الاعيان 85/7

[4] نفسه 84/7

[5] نفسه 84/7

أرويه عنه[1] وقد قرأ عليه صحيح البخاري وصحيح مسلم ومعظم كتب الحديث ومعظم كتب الأدب"[2]

**2) ابن الشيرجي:**

وهو أبو البركات عبد الله الخضر بن الحسين المعروف بابن الشيرجي"[3] وكان مشهوراً بعلمي الحديث والفقه. وقد قرأ عليه بعض تفسير الثعلبي أجاز له أن يروي ما رواه على اختلاف الروايات.[4]

**3) الشيخ مجد الدين الطوسي:**

وكان خطيباً بالموصل. ومشهوراً بالرواية حتى كان يُقصد لها من الآفاق كما يقول ابن خلكانة،[5] وسمع عليه كثيراً، وأجاز له رواية ذلك عنه.

**4) القاضي فخر الدين الشهروزي:**

وقد درس عليه ابن شداد الحديث النبوي الشريف وسمع عليه مسند الشافعي الله عنه، ومسند أبي عوانه، ومسند أبي يعلى الموصلي، وسنن أبي داوود، والجامع لأبي عيسى الترمذي وغير ذلك.

**5) الحافظ مجد الدين الصنهاجي:**

وقد أجاز لابن شداد رواية جميع ما يرويه وعنده خطه بذلك مؤرخاً بشهر رمضان سنة تسع وخمسين وخمسمائة ..

---

[1] نفسه 84/7
[2] نفسه 84/7
[3] وفيات الاعيان 84/7-85
[4] نفسه 85/7
[5] نفسه 85/7-86

**6) الحافظ سراج الدين الجياني:**

وقد قرأ عليه صحيح مسلم من أوله إلى آخره، وكتاب الوسيط للواحدي، وأجاز له جميع ما يرويه في تاريخ سنة تسع وخمسين وخمسمائة"[1]

وهؤلاء المشائخ الستة من علماء الموصل وقد درس عليهم ابن شداد في بلده، ودرس في بغداد عند الشيخة شهدة بنت الأبري الكاتبة، وعند أبي المغيث في الحربية، وعند الشيخ رضى الدين القزويني المدرس بالمدرسة النظامية ببغداد.[2]

وأضاف ابن خلكان لهؤلاء الذين ذكرهم أستاذاً من مشايخه هو الضياء بن أبي حازم صاحب محمد بن يحيى الشهيد النيسابوري يقول ابن خلكان: " ثم باحث في الخلاف متفنني أصحابه كالفخر النوقاني، والبروي، والعماد، النوقاني، والسيف الخواري، والعماد الميانجي[3]، ويضيف السبكي إلى من سبق ذكرهم من أساتذة ابن شداد: محمد بن أسعد حفيد العطاري صاحب البغوي المفسر، وعبد الرحمن بن أحمد الطوسي.[4] فهؤلاء جملة الأساتذة الأعلام الذين درس عليهم ابن شداد. وواضح أنّه كان حريصاً على تنويع مصادره العلمية، فقد اهتم أولا بالدراسات المرتبطة بكتاب الله تعالى من قراءات وتفسير ونحوها، وكذلك بعلوم اللغة العربية. ثم انصرف بعد إتمام هذا إلى دراسة الحديث النبوي والرواية ودراسة التاريخ وقضايا الخلاف

[1] نفسه 86/7
[2] وفيات الاعيان 86/7، وانظر التكملة لوفيات النقلة 384/3
[3] المصدر السابق 68/7
[4] طبقات الشافعية 360/8

وغير ذلك. وكان حريصاً كما رأينا على الحصول على الإجازات العلمية الموثقة من أساتذته بخطوطهم.

وقد امتدت فترة طلبه للعلم منذ صغره وحتى بلغت سنه ستا وعشرين سنة، التحق بعدها معيداً بالمدرسة النظامية ببغداد[1]، وقد جمع ابن شداد لهذا العلم الغزير خلقاً وفضلاً، يقول عنه السبكي: " كان إماماً فاضلاً ثقة، عارفاً بالدين والدنيا رئيساً مشاراً اليه. متعبداً متزهدا[2]" ويقول عنه ابن قاضي شهبة:" كان ثقة عارفا بأمور الدين وكان ذا صلاح وعبادة، واجتمعت الألسن على مدحه"[3].

**( د ) عمله في التدريس:**

أشار المنذري في كلمات موجزة لجهد ابن سداد في التدريس، ذلك في قوله عنه " وحدث بحلب ودمشق ومصر وغيرها من البلاد ودرس بغير مدرسة، واقرأ"[4]، وكان أول عمل تقلده بهاء الدين في التدريس بعد التأهيل التام والتزود بالعلم، الاعادة في المدرسة النظامية ببغداد التي بقى فيها لمدة اربع سنوات انتهت في سنة تسع وستين وخمسمائة[5] ثم رجع إلى بلده "الموصل" والتحق مدرساً بالمدرسة التي أنشاها كمال الدين بن الشهزوري قاضى الموصل، وقد انتفع بعلمه في هذه المدرسة جماعة كما يذكر ابن خلكان،[6] وتشهد له مدينة حلب التي رحل إليها بعد وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي

[1] انظر وفيات الاعيان 87/7
[2] طبقات الشافعية 361/8
[3] المصدر نفسه 121/2
[4] التكملة لوفيات النقلة
[5] انظر وفيات الاعيان 87/7
[6] المصدر السابق 87/7

بالفضل كله فقد كانت قبله قليلة المدارس، وبها نفر يسير من العلماء، فاعتنى بأمرها، وجمع فيها بعض الفقهاء، ونشات في زمانه فيها مدارس كثيرة"[1]. وكان بهاء الدين قاضي قضاة حلب للملك الظاهر غياث الدين بن صلاح الدين، ولابنه الملك الناصر محمد من بعده[2]. وكان الملك قد قرر له إقطاعاً كبيراً مقابل وظيفته، وكان عندهم في مرتبة الوزارة والاستشارة، فكثر ماله ولم يكن له – كما ذكرنا من قبل – أقارب ولا أولاد، فاتجّه همه إلى العلم الذي أنفق في سبيله وقتاً طويلاً. فأنشأ مدرسة ودار حديث. يقول ابن خلكان: " فعّمر مدرسة بالقرب من باب العراق – في حلب – قبالة مدرسة نور الدين محمود زنكي– رحمه الله تعالى الشافعية، ورأيت تاريخ عمارتها مكتوباً على سقف مسجدها، وهو الموضع المعد لإلقاء الدروس، وكذلك في سنة إحدى وستمائة، ثم عمر في جوارها داراً للحديث النبوي"[3].

ولقد كان لجماعة مدرسته ولعامة الفقهاء في حلب أيامه حرمة ورعاية كبيرة، وكانوا يحضرون مجالس السلطان. وقد نالت مدرسته هذه شهرة واسعة وكان الطلاب يفدون إليها من مختلف البقاع، ودرس عليه بها كثير من النجباء وسوف نشير إلى هذا قليل عند حديثنا عن تلاميذه.

وما يزال موضع هذه المدرسة معروفاً في حلب ، بل إن بعض آثارها باقية إلى يومنا هذاء[4]، ويرجح محمد راغب الطباخ أنها كانت عامرة حتى

---

[1] نفسه 89/7

[2] نفسه 89/7

[3] انظر وفيات الاعيان 91/7

[4] انظر محمد راغب الطباخ الحلبي، اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، تصحيح محمد كمال ، ط2، دار القيم، القيم، حلب 1989م، ج ع/366-367

القرن العاشر الهجري، ويورد بعض الأدلة التي لا مجال لذكرها هنا[1]، وبجانب حلب فقد درس ابن شداد في عدد من البلاد العربية مثل الموصل وبغداد ومصر، التي زارها أكثر من مرة وحدث بها وأقرأ بها القرآن الكريم.[2]

**( هـ ) تـــلاميذه :**

أما تلاميذ بهاء الدين ابن شداد فأبرز هم ابن خلكان المؤرخ المعروف، وقد درس في مدرسته التي بحلب هو وأخوه، وقرأ على ابن شداد وعلى أساتذة آخرين في مدرسته. وانفرد بتسجيل أطول ترجمة لأستاذه، ضمنها مشاهداته وسماعه عنه"[3]. وهو ينقل صوراً تمثل المجالس العلمية عند أستاذه فقد كان يستشهد بالشعر كثيراً في مجالس درسه، ومن الأبيات التي يكثر الاستشهاد بها قول الشاعر[4]:

**إن السلامة من ليلى وجارتها أن لا تمر على حال بناديها**

وقال الشاعر:

**وعهودهم بالرمل قد نقضت وكذاك ما يُبنى على الرمل**

وفي وفيات الأعيان شواهد على هذا.[5]

ومن تلاميذه أيضاً أبو شامه المقدسي صاحب كتابي الروضتين والذيل على الروضتين، وقد ترجم له في كتابه الأخير كما أسلفنا. وقال: " وكنت قد

---

[1] المصدر السابق 4م367
[2] التكملة لوفيات الاعيان385/7
[3] انظر : وفيات الاعيان 84/7-100
[4] انظر وفيات الاعيان 91/7
[5] المصدر السابق 91/7-98

اجتمعت بابن شداد بدمشق و أجاز لي جميع ما يرويه، ثم سمعت عليه بمصر وعند قبة الشافعي رحمة الله سنة ثمان وعشرين وستمائة[1]. ومن تلاميذه أيضاً جمال الدين ابن واصل صاحب كتاب مفرج الكروب في أخبار بني أيوب وقد مكث عنده سنتي 627–628،[2] ومنهم القاضي كمال الدين ابن العديم وقد أشرنا إلى المواضع التي ذكر فيها تتلمذه على ابن شداد[3] ومنهم عبد العظيم المنذري صاحب كتاب التكملة وقد ذكر صراحة أنه درس عليه"[4]. ويقول الإمام الذهبي عن تلاميذ ابن شداد:" روى عنه أبو عبد الله الفاسي المقرئ، أظنه قرأ عليه، والزكي المنذري، والكمال ابن العديم وولده، وجمال الصابوني، والشهاب القوصي، وسنقر القضائي وآخرون، وبالإجازة القاضي تقي الدين الحنبلي، وأبو نصر محمد بن الشيرازي[5] ويضيف السبكي السبكي إلى هؤلاء الشهاب الأبرقوهي[6] ويقول عنه ابن الجزري :"وروى عنه عنه التجريد الرشيد بن أبي البدر والكمال الضرير".[7]

**( و) صلته بالسلطان صلاح الدين وأبنائه:**

وتعد صلة ابن شداد بالسلطان صلاح الدين الأيوبي وبأبنائه من بعده نقطة بارزة، فهي التي حولته عن الموصل نهائيا على الرغم من أنه قد ولد فيها ونشأ. وكان على صلة وثيقة بأتابكها عز الدين مسعود وكان يثق فيه ثقة

[1] الذيل على الروضتين، ص 163
[2] مفرج الكروب في اخبار بني أيوب 6/5
[3] انظر صفحة 3 من هذا البحث
[4] انظر : التكملة لوفيات النقلة 385/3
[5] الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي ، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق عواد معروف وآخرين، ط1، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1984.، ج2 ، ص 619.
[6] انظر : طبقات الشافعية الكبرى 360/8.
[7] غاية النهاية في طبقات القراءة 395/2

كبيرة، وقد جعله رسوله إلى الخليفة العباسي والى السلطان صلاح الدين[1] وكانت المرة الأولى التي قابل فيها صلاح الدين سنة 579هـ عندها جاءه رسولاً من أمير الموصل، وقد فشلت سفارته تلك. والتقاه مرة ثانية عندما حضر إلى دمشق سنة 58هـ ممثلاً لأميره لتنسيق أعمال الجهاد ضد الصليبين. وقد أيد رأي صلاح الدين،[2] وأعجب صلاح الدين بمقدراته وعرض عليه أن يكون قاضيا بمصر وخطيباً فيها ومدرساً إلا أنه اعتذر عن ذلك حتى لا يُعتبر مسؤولا عن فشل المفاوضات[3]. وقد كانت هذه الحادثة الأخيرة هي التي تألف فيها قلب السلطان وقلب ابن شداد وقد وصفها ابن شداد بقوله ومن تلك ثبت في نفسه الشريفة مني أمر لم أعرفه إلا بعد خدمتي له"[4] .

أما بدء سعادته كما يصفها السبكى[5] فقد كان عوده من مكة بعد أن أدى فريضة الحج قاصداً زيارة بيت المقدس عن طريق دمشق وذلك في سنة 583هـ ، وقد نقل لنا ابن حنكان وصفاً كتبه ابر شداد في بعض كتبه عن هذه الرحلة، ذكر فيه أنه وصل دمشق وصلاح الدين محاصر قلعة كوكب وصادف أن سمع بقدومه فاستدعاه إليها فظن أنه يسأله عن بعض الأمور التي حدثت في موسم الحج، إلا أنه لما دخل عليه لم يزد على السؤال عن الطريق ومن كان فيها من مشايخ العلم والعمل، وسأله عن جزء من الحديث

[1] انظر : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص 70.
[2] انظر: المقريزي أحمد بن علي المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ،1934،ج1، ق1، ص82.
[3] انظر : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص 65.
[4] المصدر السابق ، ص 65
[5] انظر طبقات الشافعية الكبرى 361/8

فقرأ عليه جزءاً من صحيح البخاري، ولما خرج من عنده تبعه العماد نكاتب وأخبره بطلب السلطان أن يزوره ابن شداد بعد انتهاء زيارته لبيت المقدس وقد ستجاب ابن شداد لذلك وزار السلطان عند عوده ومكث عنده مدة قصيرة ألف له فيها كتابا عن فضائل الجهاد. وأخذ يستبقي ابن شداد كلما طلب العود إلى الموصل ، إلى أن أقنعه بالبقاء عنده وولاه قضاء العسكر والقضاء بالمقدس الشريف[1]. وقد كان بقاء بن شداد عن حب أكيد لصلاح الدين، يقول ابن شداد :" منذ رأيته وحبه للجهاد فحببته لذلك وخدمته مستهل جمادى الأولى سنة 584هـ[2]، فقد أصبح منذ ذلك الوقت في خدمة السلطان لم ينقطع عن ملازمته أبداً إلا لعذر قاهر. وقد سجّل مشاهداته ومرافقته للسلطان، وما علمه عن سيرته في الفترة التي سبقت اتصاله به في كتاب سماه سيرة صلاح الدين أو النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية. وامتدت صلة اي شداد بالسلطان إلى وقت وفاة السلطان في يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنه 589هـ[3] ها وتوجه ابن شداد بعد وفاة صلاح الدين إلى حلب في سنة 591هـ، وذلك "لجمع كلمة أولاد صلاح الدين وتحليف بعضهم لبعض"[4] وسعي في التوفيق بين الأمراء الأيوبيين في مصر والشام، وسافر من حلب إلى القاهرة عدة مرات في أعوام593–608–613–629.[5]. وكان صاحب حلب

[1] انظر : وفيات الاعيان 7/87-88
[2] النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية
[3] المصدر السابق، ص 87
[4] انظر فيات الاعيان 7/89
[5] انظر : السلوك لمعرفة دول الملوك 1/1/168- 174-176-185-234-240-243

وقتها الملك الظاهر غياث الدين بن صلاح الدين، فسند لابن شداد قضاء حلب جعله عنده في رتبة الوزارة والمشاورة.[1]

وقد كان لابن شداد الكلمة النافذة في حلب في زمن السلطان الظاهر وابنه العزيز[2]. ولما بلغ الملك العزيز سن الرشد استقل بالحكم. ولكنه أكثر من مخالطة بعض الشباب الذين كانوا يجالسونه. ولم يكن ابن شداد راضيا عن ذلك. فلازم داره إلى حين وفاته. وقد انقطع في هذه الفترة للتدريس وكان ما يزال متولياً للقضاء الى حين وفاته سنة 632 هـ [3]. وواضح من هذا الذي قدساه الدور الكبير الذي قام به ابن شداد في مرافقته للسلطان وخدمته له والمكانة التي نالها عنده حتى أن ابن واصل يصفه بأنه كان من أجل أصحاب السلطان صلاح الدين، وانه نال من المكانة والمزلة والحرمة" ما لا أعرف أن معمماً في عصرنا هذا ناله"[4] ووضح كذلك دوره في التوفيق بين أبناء السلطان في دمشق ومصر، وكذلك جهوده في رفعة شأن حلب وتأسيس المدارس بها.

**( ز ) وفاته:**

يذكر ابن خلكان أن بهاء الدين ابن شداد توفي رحمه الله تعالى في يوم الأربعاء رابع عشر صفر سنة 632هـ، وكانت وفاته بحلب ودفن في تربة أعدها لنفسه[5]. وهو ممن حضر الصلاة عليه ودفنه كذلك، أما الحافظ

[1] وفيات الاعيان 89/7
[2] المصدر السابق 91/7
[3] نفسه 99/7
[4] مفرج الكروب في اخبار بني أيوب 89/5
[5] وفيات الاعيان 99/7

المنذري وهو من تلاميذه أيضاً فقد بلغته وفاته وهو بحران قال:" وفي رابع عشر ويقال في السابع عشر من صفر توفي القاضي الأجل، الإمام العالم أبو المحاسن يوسف بن رافع ... تحلب، وصلينا عليه صلاة الغائب بحران في الشهر المذكور[1]. ولا شك أن رواية ابن خلكان الذي كان حاضراً للوفاة أوثق، فوفاته على هذا في الرابع عشر من صفر سنة 632هـ.

وقد رأيت أخطاء كثيرة في كشف الظنون في تاريخ وفاته فليتنبه لها. فقد أورد في كل مرة ذكر فيها بهاء الدين ابن شداد تاريخاً مخالفاً لسابقه فمرة يجعل وفاته سنة 631هـ [2] ومرة سنة 632هـ[3] ، 633هـ.[4]

وعمّر ابن شداد طويلاً كما هو واضح من تاريخي مولده ووفاته، فقد عاش ثلاثاً وتسعين سنة، وقد أثر الهرم فيه جداً كما يروي ابن خلكان الذي قضي معه السنوات الأخيرة من حياته، فضعف حتى أصبح كفرخ الطائر[5]، وكان يجلس في قبة شتوية في الصيف والشتاء ولا يقدر على الحركة للصلاة وغيرها إلا بمشقة عظيمة.[6] ويقول ابن خلكان في وصفه هذا " وكانت النزلات تعتريه في دماغه ... كان لا يخرج لصلاة الجمعة إلا في القيظ... وكنت أنظر إلى ساقيه إذا وقف للصلاة وكأنهما عودان رقيقان لا لحم عليهما[7]. وقد أعد تربة لنفسه جعلها بين المدرسة ودار الحديث، وقد رتب

[1] التكملة لوفيات الاعيان 382/3
[2] انظر : كشف الظنون 759/1
[3] المصدر السابق 275/2
[4] نفسه 1898/2
[5] وفيات الاعيان 91/7
[6] المصدر السابق 91/7
[7] نفسه 92/7

بعض القراء لقراءة القرآن عند قبره بحيث تقرأ عنده ختمة كاملة كل ليلة، يقول ابن الوردي في تاريخه:" قال بعض الناس: هذه تربة بين روضتين ورجا أن تشمله بركة العلم ميتاً كما شملته حياً وأن يكون في قبره من سماع الحديث والفقه بين الري و الريا "[1] ، وقد كانت حياته رحمه الله تعالى ، حافلة بالخير والمأثر الصالحة كما رأينا وقد ترك عدداً من المؤلفات العلمية ندرسها في المبحث الثاني إن شاء الله تعالى .

[1] " ابن الوردي ، زين الدين عمر بن الوردي ،تتمة المختصر في أخبار البشر أو ( تاريخ ابن الوردي) ، تحقيق رفعت البدراوي ط1 ، دار المعرفة ، بيروت 1970 ، ج2 ، ص6- 23.

## المبحث الثاني

## مؤلفاته ومنهجه في التأليف

### (أ ) مؤلفاته:

بلغت مؤلفات بهاء الدين ابن شداد التي وصلت إلينا والتي نقلت المصادر و المراجع أخبارها ثمانية مؤلفات هي:

**1) كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين الأيوبي:** وقد فرغ ابن شداد من جمع الأخبار التي في هذا الكتاب يوم وفاة صلاح الدين، إذ هو يؤرخ لسيرته منذ مولده وحتى وفاته كما يذكر بنفسه.[1] وهو الكتاب الوحيد المطبوع من كتب ابن شداد وتوجد منه عدة مخطوطات في مكتبات العالم تفصيلها عند بروكلمان كما يلي:" برلين 9811– ليدن 967– المتحف البريطاني أو 1630—بودليان1/588 2/135— باريس أول 6731– بازل مكتبة المدينة بوهار 11216[2] وقد نشره شلنتس Schultens في ليدن سنة 1732م ثم سنة 1755م— وطبعت نشرة شلنتس بعد ذلك في يبنا بألمانيا سنة1790م . ثم نشره دي سلان – Deslane مع ترجمة فرنسية في ص 1– 374 في الجزء الثالث من كتابه تاريخ الحروب الصليبية – وطبع كتاب النوادر السلطانية بالقاهرة سنة 1317[3]. وقد ترجمه كوندر إلى الإنجليزية[4].

---

[1] انظر: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، ص 247
[2] انظر : تاريخ الادب العربي 13/6
[3] انظر : غاية النهاية 395/2 – انظر الملاحظة السابقة
[4] انظر : تاريخ الادب العربي 13/6

والطبعة التي بين أيدينا طبعة محققة تحقيقاً جيداً قام به الدكتور جمال الدين الشيال وهو عالم معروف مختص في تاريخ تلك الفترة وسوف أقدم دراسة لمنهج بهاء الدين في التأليف من خلال هذا الكتاب عند الانتهاء من الحديث عن مؤلفاته .

**2) دلائل الاحكام:**

ذكره ابن خلكان وأشار إلى أن موضوعه الأحاديث المستنبط منها الأحكام في مجلدين[1] . ووصفه بهذا الوصف مجير الدين الحنبلي في كتابه[2]، ووصفه بهذا كذلك ابن العماد الحنبلي[3]، ولعل ابن الأثير الجزري قد وهم في عدد مجلداته عندما ذكر أنها أربعة مجلدات[4]، ويضيف حاجي خليفة إلى وصفه بأنه تكلم فيه على الأحاديث المستنبطة منها الأحكام في الفروع[5]، وقد نقل السبكي فقرة منه قال فيها:" قيد ابن شداد في كتابه دلائل الأحكام قول الأصحاب: إن السلطان أولى بالإمامة من صاحب المنزل وإمام المسجد بالجمعات والأعياد لتعلق هذه الأمور بالسلاطين، قال: أما بقية الصلوات فأعلمهم أولى بالإمامة إلا أن تجمع الخصال المذكورة في الإمام يكون حينئذ

[1] وفيات الاعيان 7/99 - 100
[2] انظر : الانس الجليل 2-101
[3] انظر : ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب "ط2 ، دار المسيرة . بيروت 1979'ج 5 ،ص 158.
[4] انظر : غاية النهاية 395/2
[5] انظر: كشف الظنون 759/1

أولى، ولعله أخذه من كلام الخطابي[1]. ومن دلائل الأحكام مخطوط في، المكتبة الأهلية في باريس تحت الرقم 736[2] ومنه مخطوط في المكتبة الأحمدية بحلب.[3]

**3) كتاب ملجأ الحكام عند التباس الأحكام:**

وهو من كتبه التي اطلع عليها ابن خلكان، وهو الكتاب الذي ذكر في أوائله قصة اتصاله بالسلطان صلاح الدين[4]، ويذكر ابن خلكان أن هذا الكتاب يقع في مجلدين وأنه يتعلق بالأقضية[5]. وذكره حاجي خليفة[6] ومنه مخطوط بدار الكتب المصرية يحمل الرقم 46 م فقه[7]. وذكر محمد راغب الطباخ أن مخطوطاً آخر منه موجود في المكتبة السلطانية..[8]

**4) كتاب فضائل الجهاد:**

وقد ذكره ابن خلكان قال:" وجمع له– يعني لصلاح الدين في تلك المدة كتاباً يشتمل على فضائل الجهاد وما أعد الله سبحانه وتعالى للمجاهدين يحتوى على مقدار ثلاثين كراسة[9]. ومنه مخطوط بمكتبة كوبريلي يحمل رقم 764، تحمل اسم فضائل الجهاد[10]. وذكره صاحب الأعلام باسم فضائل الجهاد[1]. ولم أجده في مصادري بهذا الاسم، ولم يشر إلى فصدره في ذلك.

---

[1] طبقات الشافعية الكبرى 362/8
[2] انظر : تاريخ الادب العربي 13/6
[3] انظر : اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء 364/4
[4] وفيات الاعيان 87/7
[5] المصدر السابق 99/7
[6] انظر : كشف الظنون 1816/2
[7] انظر تاريخ الأدب العربي13/6
[8] انظر : إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء364/4
[9] وفيات الاعيان 88/7
[10] انظر : تاريخ الأدب العربي6/ 14

**5) كتاب الموجز الباهر:**

هو كتاب في الفقه[2]، وسماه حاجي خليفة " الموجز الباهر في الفروع "[3]. ولا يعلم عن مخطوطاته شيء فلم يذكره أحد ممن اعتنى بذلك.

**6) كتاب العصا:**

لم يذكره أحد من القدماء ممن وقفت عليهم وأشار بروكلمان إلى وجود مخطوط منه في مكتبة باتنه2/ 516:2772 ، وبين أنه يختص بقصة موسى وفرعون[4].

**7) كتاب أسماء الرجال الذين في المهذب للشيرازي:**

لم يذكره القدماء بين مؤلفاته ولعلهم اقتصروا على أشهرها. وذكر الدكتور الشيال أن مخطوطاً من هذا الكتاب موجود في مكتبة ولي الدين جار الله تحت رقم 255، مكتوب في القرن التاسع الهجري بقلم معتاد وبخط قديم، ويقع في 52 ورقة بمقاس 18X13م(4)[5]. وورد وصفه في فهرس المخطوطات المصورة "أوله بعد الديباجة وذكر المؤلف القطب الأول من الكتاب نذكر .... الأسماء المودعة آخر، وآخر ما فيه ينتهي بأول كتاب الشهادات أنجشة[6]

**8) دروس في الحديث:**

لم يذكر القدماء شيئاً عن هذا الكتاب، ولكنه من الثابت أن ابن شداد قد درس

---

[1] وانظر : الأعلام8/ 230.
[2] " انظر : وفيات الأعيان7/ 100.
[3] كشف الظنون2/ 1898
[4] انظر تاريخ الادب العربي 14/6
[5] انظر : مقدمة كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ،ص 9 .
[6] فواد سيد ، فهرس المخطوطات المصورة ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة د.ت ج 2/ق2،ص11.

الحديث في مصر وممن أخذ عنه الحافظ المنذري صاحب التكملة[1]. وقد ألقى هذه الدروس سنة 629 وهي السنة التي سافر فيها لإحضار ابنة الملك الكامل محمد عروس الملك العزيز صاحب حلب[2] ويوجد مخطوط منه في مكتبة بودليانا في اكسفورد"[3].

وواضح أن مؤلفات بهاء الدين ابن شداد مرتبطة بشخصيته واهتماماته وبالوظائف التي تولاها فقد كان قاضيا وفقيها شافعيا، وكان رفيقا للسلطان صلاح الدين الأيوبي. أما اتصاله بصلاح الدين فقد هيا له أن يكتب كتابا عن سيرته، وأن له كتابا في فضائل الجهاد. أما عمله في القضاء وانشغاله بالفقه فقد هيا له أن يكتب كتابه ملجا الحكام عند التباس الأحكام وكتاب الموجز الباهر في الفقه. أما عمله الوثيق بالحديث فقد مكنه من أن يؤلف كتابه دلائل الأحكام[4]. وقد نبه الدكتور جمال الدين الشيال إلى أن بعض بعض الكتب قد نسبت خطا لبهاء الدين ابن شداد في حين أن مؤلفها سميه عز الدين ابن شداد وهو موصلي حلبي أيضا توفي سنة 684 بالقاهرة[5] ومن مؤلفاته كتاب الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة وكتاب تاريخ حلب وكتاب سيرة الملك الظاهر بيبرس. وقد وقع في هذا الخلط حاجي خليفة إذ نسب كتاب الأعلاق الخطيرة لبهاء الدين ابن شداد[6]، ونسب

[1] انظر : التكملة لوفيات النقلة3/ 385.
[2] انظر : وفيات الأعيان 99/7.
[3] انظر : تاريخ الأدب العربي13/6
[4] انظر : أحمد أحمد بدوي ، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار النهضة، مصر ، الفجالة ،د.ت،ص1 19.
[5] انظر . مقدمة كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص 8-6.
[6] انظر: كشف الظنون1/ 126

بروكلمان كتابي: سيرة الملك الظاهر بيبرس، وتاريخ حلب لبهاء الدين أيضاً[1]. وما سوى هذه الكتب فهو ثابت في نسبته لبهاء الدين ابن شداد كما بينت قبل قليل.

**( ب ) منهجه في التأليف:**

نعتمد في دراستنا لمنهج بهاء الدين ابن شداد في التأليف على دراسة منهجه في كتابه " النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" وهو الكتاب الذي بين أيدينا. وكذلك فهو من أدق الكتب التي أرخت لصلاح الدين الأيوبي، بل هو أدقها في التأريخ للفترة الأخيرة من حياته إذ كان ابن شداد مرافقاً له طيلة السنوات الست الأخيرة من حياته، ويشتمل حديثنا عن منهج ابن شداد في تأليف هذا الكتاب على الحديث عن مصادره التي استقى منها معلوماته، ثم الحديث عن تقسيمه لموضوعات الكتاب، ثم الحديث عن لغة لابد من الإشارة إلى ما ذكرناه سابقا من أن ابن شداد يؤرخ في هذا الكتاب.

**مصادره:**

لا بد من الاشارة إلى ما ذكرناه سابقاً من أن ابن شداد يؤرخ في هذا الكتاب للسلطان صلاح الدين منذ مولده في سنة 532هـ وحتى وفاته في سنة 589هـ.[2] وقد التحق ابن شداد بخدمة صلاح الدين في مستهل جمادى الأولى

---

[1] انظر كشف الظنون

[2] انظر النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، ص 6، ص246

سنة أربع وثمانين وخمسمائة[1]. وقد اعتمد ابن شداد مصدرين استقى منهما معلوماته التي قام عليها الكتاب.

أما مصدر معلومات ابن شداد عن الفترة الأولى من حياة صلاح الدين – وهي الفترة الممتدة من مولده وحتى سنة 583هـ— فهي الرواية عمن يثق به ممن شاهد هذه الاحداث أو حضرها[2]، وهوما يعبّر عنه في بعض المواضيع بقوله :أو الخير الذى يقارب مظنونه درجة العيان "[3] فهذا المصدر الأول. أما المصدر الثاني فهو ما شاهده بنفسه بعد اتصاله بالسلطان، وهي فترة فيها كثير من الحوادث التاريخية المهمة في صده للفرنج ودفاعه عن بلاد المسلمين، يقول بهاء الدين :" ومن هذا التاريخ ما أسطر إلا ما شاهدته، أو أخبرني به من أثق به خبرا يقارب العيان، والله الموافق[4] ومن الشواهد التي اعتمد فيها على رواية الثقات ممن نقلوا إليه الأخبار قوله وهو يتكلم على مولد السلطان صلاح الدين: " كان مولده رحمه الله على ما بلغنا من ثقات تتبعوه حتى بنوا ما تقتضيه صناعة التنجيم في شهور سنة 532هـ[5]

وقوله:" ولقد حكى لي السلطان قال:" كان بلغنا عن نور الدين أنه ربه قصدنا بالديار المصرية ، وكانت جماعة من أصحابنا يشيرون بأن يكاشف ويخالف ويشق عصاه"[6].وقوله :" ولقد حكى لي من أثق به أنه لقي بحوران شخصاً واحداً ما طنب خيمة فيه نيف وثلاثون أسيرا يجرهم وحده لخذلان

[1] المصدر السابق نفسه
[2] نفسه ص 84
[3] نفسه ص 84
[4] نفسه ص 87
[5] انظر: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ،ص 6.
[6] المصدر السابق نفسه

وقع عليهم "[1]. ويقول عن وفاة الفقيه عيسى وهو من رجال السلطان أيضا: "وهي مما بلغني ولم أكن حاضرها"[2]. ومن ذلك حكايته عن قتل السلطان للبرنس أرناط لأنه غدر ببعض حجاج المسلمين وقتلهم، قال: "ثم ضرب عنقه بيده وفاء بنذره، وأخذ عكا وأخرج الأسرى كلهم من ضيق الأسر وكانوا زهاء أربعة آلاف أسير، أعطى كل واحد منهم نفقة يصل بها إلى بلده واهله ، هكذا بلغني على ألسنة جماعة لأنى لم أحضر هذه الواقعة .[3]

وواضح من هذه النصوص التي أوردناها تحريه السند فيما يرويه والدقة في ذلك، وهو دائماً ينسب القول إلى مصدره الأصلي وتحس في أحيان كثيرة ورعه الشديد في إيراد الخبر فهو لا يورد خبراً إلا إذا عرف مصدره، فإذا لم يبلغه الخبر عن ثقة، فقد تواتر له على ألسنة جماعة، وواضح تأثره بدقة علماء الحديث والفقه وتحري القضاة.

وقد كان ابن شداد وفياً لمنهجه الذي حدده وكان دقيقاً فيما ينقله عن مشادة أو مشاركة، وحتى مشاهدته وحضوره للأحداث كان يعتمد عليها في تواضع وورع شديد ، لان حضور الحديث لا يعني بالضرورة إدراك كل شيء، يقول ابن شداد عن واقعة الرمل الذي على جانب نهر عكا: " وهذه الواقعة لم أحضرها، فإني كنت مسافراً، وما مضى من الواقعات شاهدت

[1] نفسه 77
[2] نفسه 116
[3] نفسه ، ص 34

منها ما يشاهده مثلي، وعرفت الباقي مثل ما يعرفه الحاضر في هذه الامور.[1]

أما الشواهد على المصدر الثاني الذي اعتمده وهو مشاركته في الأحداث أو مشاهدته لها فمنه قوله : " ولقد جلست في خدمته في تلك الليلة– وكانت ليلة الجمعة– من أول الليل إلى أن قارب الصبح، وكان الزمان شتاء، وليس معنا ثالث إلا الله تعالى[2] وقوله: "ورايته وقد وصل إليه خبر وفاة تقي الدين عمر ابن أخيه – ونحن في مقابلة الافرنج جريدة على الرملة.... ، ثم أظهر الكتاب ووقف عليه وبكى بكاء شديداً حتى أبكانا من غير أن نعلم السبب. ثم قال رحمه الله والعبرة تخنقه :" توفي تقي الدين"[3]. وقوله : "لقد كنت أشاهد الناس وهم يأخذون القدور وقد استوى فيها الطعام فيأكلون وهم يقاتلون القلعة" [4]

ولقد اتبع بهاء الدين في التاريخ للأحداث التي شهدها في السنوات الأخيرة من حياة السلطان منهجاً دقيقاً في تحديد الوقت الذي وقع فيه الحدث الذي يتحدث عنه تحديد اليوم والشهر والسنة، يقول:" ولما كان يوم السبت تاسع شوال من السنة المذكورة "[5] وقوله بعد ذلك: " ولما كانت عشية ذلك اليوم "[6]. ويقول :" ولما كانت سحرة ليلة الجمعة سابع عشر ربيع الأول من سنة ست

[1] انظر : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص 116
[2] المصدر السابق ص 11
[3] نفسه ص 27
[4] نفسه ص 91
[5] نفسه ص 202
[6] نفسه ص 202

وثمانين وخمسمائة"[1]، ويهتم كذلك بالجانب الإحصائي، ويحاول أن يقدر الأعداد التي لا يعلمها بدقة من أعداد الجيوش والمقاييس وغيرها، يقول: "وأصبح يوم الجمعة مقاتلاً مجتهداً في أخد النقوب. وأخذت النقوب يوم الجمعة من شمالي القلاع وتمكن منها النقب حتى بلغ طوله على ما حكي لي من ذرعه ستين ذراعاً وعرضه أربعة أذرع "[2]، وقوله وهو يذكر خبر القافلة المصرية التي اعترضها ريتشارد قلب الأسد "الإنكتار" :"وقتل من العدو مائة فارس على رواية، وعشرة أنفس على رواية ولم يقتل من المسلمين معروف سوى الحاجب يوسف وابن الجاولي الصغير فإنهما استشهدا رحمهما الله[3]،

أما منهجه في تقسيم الكتاب فقد كان تحديده له واضحاً في مقدمته، فقد جعله قسمين: الأول: يتحدث فيه عن مولد صلاح الدين ومنشئه وخصائصه، وأوصافه، وأخلاقه المرضية وشمائله الراجحة في نظر الشرع، أما القسم الثاني ففي تقلبات الأحوال به ووقائعه وفتوحه وتواريخ ذلك إلى وفاته رحمه الله تعالى.[4]

أما لغة الكتاب ففد كانت لغة سهلة بسيطة يفهمها من يقرؤها. وما كان يعتمد فيها التأليف شأن كتاب زمانه وأدباءه من مثل القاضي الفاضل وغيره فهو في أحيان كثيرة ينقل لنا الخبر بلغة الكلام العادي، يقول :"وصعد القلعة جريدة، وأكل فيها خبزاً ونزل، وسار راجلاً إلى تل السلطان ومعه الديار

[1] نفسه ص 119
[2] ا انظر: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، ص 89.

[3] المصدر نفسه ص 214
[4] نفسه ص 4

بكريه وجمع كثير"[1] فاهتمامه الغالب لم يكن بالتأليف في الصياغة بقدر ما كان تسجيل الأحداث بدقة وأمانة، يقول "ثم رحل قدس الله روحه– طالباً عكا، وكان نزوله عليها يوم الأربعاء سلخ ربيع الاخر، وقاتلها بكرة الخميس جمادى الأولى فأخذها واستنقذ من كان فيها من الأسارى وكانوا زهاء أربعة الاف نفر"[2]، وقد كان يلجأ إلى السجع أحيانا قليلة، وهو اسلوب زمانه الذي لا ينفك عنه أحد، يقول :"وكان الله قد قدر نصر المؤمنين ويسّره، واجراه على وفق ما قدره... فألقى الله الرعب في قلوب الكافرين وكان حقا علينا نصر المؤمنين[3] ". وقد حوى كتابه قدراً كبيراً من الكلمات غير العربية ومعظمها بأدوات الحرب والقتال وبأسماء ملوك الصليبين فمن أسماء أدوات الحرب: اليزك[4]،الكويسات[5] ، الطلب[6]، المنجنيق[7]، الخركاه[8]، البطسه[9]، البركوس[10]، البركوس[10]، وغيرها كثير في الكتاب.

وهو يستخدم بعض عبارات زمانه في تسمية ملوك الفرنج مثل الانكتار"ريتشارد قلب الأسد ملك بريطانيا"[11]. والكند هنري أي الكونت هنري[12]، وهو يستخدم بعض العبارات الإنجليزية مثل Term فيقول :"انقضى

[1] نفسه ص 51
[2] انظر النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص 51
[3] المصدر السابق ص 77
[4] نفسه ص 10
[5] نفسه 20
[6] نفسه ص 24
[7] نفسه 26
[8] نفسه ص 28
[9] نفسه ص 49
[10] نفسه 123
[11] نفسه 182
[12] نفسه ص 131

التيرم" أي"الفصل الاول" يصل إليكم في ترومكم الباقية[1]. و لا شك أن لغة الكتاب توحي بحب ابن شداد للسلطان صلاح الدين، واحترامه له، وتعلقه الشديد به، ومع ذلك فإن القاري لا يلمس ثمة تحيزاً يغطي على الحقائق أو يصرفها عن غيره جهتها فقد كان ابن شداد دقيقاً في إيراد الحقائق وإثباتها، ويورد أحياناً من الوثائق المكتوبة ما يؤكد قوله[2] وعموماً فقد اتسم منهج ابن شداد بالصدق الاصالة، وقد اعتمد عليه ونقل عنه من أرخو اصلاح الدين من العرب وغيرهم ودونك ما كتبه س. لين بول Stainley Lane- Poole في كتابه عن صلاح الدين Saladin an the history of the Kingdom of Jerudalem فقد قدم وصفاً دقيقاً لابن شداد، وقال كلمة فيها قدر كبير من الامانة العلمية، فقد ذهب إلى أنه لا يستبعد ان يكون للحب الشديد في قلب بهاء الدين أثر كبير، ولكن ابن شداد مع ذلك كان واضحاً، وطلب الحقيقة وكتبها، وتحرى الأدراك السليم والامانة.[3] ولم يجد لين بول في كتاب الا قدراً صغيراً من التحيز يرى أنه من الواجب تبريره.[4] وبعد فهذه جملة النقاط التي وقفنا عليها في منهج ابن شداد في التأليف من خلال النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية

**الخاتمة:**

يمكننا القول في خاتمة هذه الدراسة إن مثل هذه البحوث التي تخصص لدراسة سيرة شخصيات كان لها دور كبير في حفظ تاريخ الأمة الإسلامية

---

[1] نفسه 173

[2] انظر: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، ص 124 ، صورة كتاب الكاغيوس الارمني للسلطان

[3] انظر Lane- Poole Stanley Lane" Saladin and the history of the Kingdom of Jerusalm Jerusalm Berut 1969 pvi:

[4] Ibid PP Vi

وتاريخ أبطالها فيها فائدة كبيرة؛ ذلك أنها تزيد المطلع على كتبهم التي كتبوها ثقة كبيرة بعد أن يطلع سيرتهم الخاصة وذلك لما يعرفه عنهم من صدق وأصالة. وواضح أن بهاء الدين ابن شداد من أوثق المصادر التي قدمت لنا صلاح الدين، وهو كما وضح لي من خلال كتابه النوادر السلطانية من أقرب الشخصيات لصلاح الدين، فهو مستشاره والمطلع على حركته، ومع ذلك فلم يكن متحيزاً له تحيزاً أعمى – كما يقولون، وانما كان يتحرى الصدق في أخباره، وقد شهد له بذلك بعض المؤرخين من الغربيين كما أشرنا – وشهد له كل من كتب عن الحروب الصليبية وهو يبتغي الحقيقة التاريخية المحضة. وق رأينا ما أخذ به نفسه من صبر في طلب العلم الذي لم يجلس لتدريسه إلا بعد ان تزود منه بقدر كبير. ونلاحظ كذلك حرص هؤلاء العلماء على تنويع مصادرهم العلمية والانتقال بين أعلام الأساتذة في زمانهم، ونلاحظ كذلك أنهم يبدون بتعليم القران الكريم وحفظه ثم تتبع فروع العلم الأخرى. ويلاحظ كذلك تعدد اهتمامات الرجل بين المشاركة في الأحداث السياسية والتفرغ للتأليف والتدريس .

وهنالك ارتباط وثيق بين مدينة حلب وبين بهاء الدين ابن شداد، فهو من أرسى دعائم النهضة العلمية فيها بعد إن كانت تجارة العلم فيها غير رائجة وليس بها من المدارس إن إلا القليل. وقد أصبحت في عهد ابن شداد قبلة تشد إليها الرحال لطلب العلم.

وقد نبهنا هذا البحث إلى واحد من الأساتذة الكبار الذين درس عليهم عدد كبير من تراثنا الذين ربما اشتهروا أكثر منه، ومنهم كما رأينا ابن

خلكان، وابن العديم، وابن واصل، وأبن واصل، وأبوشامة المقدسي وغيرهم، ولما كان الكتاب الوحيد المطبوع بين ايدينا لابن شداد هو كتاب النوادر السلطانية، فقد وقفنا على منهجه في التأليف من خلاله ورأينا فيه روح الفقيه الشافعي وروح القاضي الذي يبتغي العدل في حكمه، وروح العالم الوقور المتواضع. أرجو ان تحقق كتب بهاء الدين ابن شداد الباقية التي ربما كشت لنا عن جوانب جديدة في حياته.

واختم بالحمد لله تعالى والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

**المصادر والمراجع**

1) أحمد أحمد بدوي، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة د.ت.

2) الأسنوي جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن، طبقات الشافعية، تحقيق عبد الله الجبوري ، ط1 ، مطبعة إرشاد ، بغداد1971.

3) (بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية يعقوب السيد بكر، ط2، دار المعارف، مصر، د.ت.

4) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط دار الكتب المصرية 1936.

5) ابن الجزري، شمس الدين أبو الخيرات محمد، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق ج. جشتراسر، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت 1980

6) حاجي خليفة، مصطفى أفندي المعروف بحاجي خليفة، كشف الظنون عن

أسامي الكتب والفنون ، ط3 ، المطبعة الإسلامية، طهران 1967.

7) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، ط دار الثقافة بيروت د.ت.

8) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان أ- ، تذكرة الحفاظ، ط3 دائرة المعارف الاسلامية، حيدر آباد الدكن 1957 ب- . معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق بشار عواد وآخرين، ط مؤسسة الرسالة، بيروت 1984.

9) الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط6، دار العلم للملايين، بيروت 1984.

10) السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي عبد الكافي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح الحلو وآخرين، ط1، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة د.ت.

11) سعداوي، نظير حسان، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة1962.

12) أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي،أ- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط دار الجيل بيروت، د.ت. ب- تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، ط دار الجيل بيروت د.ت.

13) ابن شداد، أبو المحاسن بهاء الدين .النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين الايوبي، تحقيق جمال الدين الشيال، ط1، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1964.

14) ابن العديم، كمال الدين عمر بن أبي جرادة، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دمشق 1988.

15) العريني، السيد الباز، مؤرخو الحروب الصليبية، ط دار النهضة العربية، القاهرة 1962.

16) ابن العماد الحنبلى، أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط المسيرة. بيروت 1979.

17) فؤاد سيد ،فهرس المخطوطات المصورة، منشورات معهد المخطوطات العربية، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة د.ت .

18) ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد تقي الدين، طبقات الشافعية، تحقيق د. الحافظ عبد العظيم خان، ط1 دائرة المعرف لعثمانية، حيدر آباد، الدكن 1989.

19) ابن كثير، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق أحمد ملحم وآخرين، ط 3، دار الكتب العلمية، بيروت 1987.

20) مجير الدين الحنبلي، أبو اليمن، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ط دار الجيل، بيروت 1973.

21) محمد ثابت، محمد ثابت الأفندي وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية محمد ثابت الأفندي وآخرون ط2، مطبعة التأليف والترجمة، القاهرة 1934.

22/ محمد راغب، محمد راغب الطباخ الحلبي، اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، تصحيح محمد كمال ، ط2، دار العلم العربي، حلب1989 .

23) المقريزي، تقي الدين أحمد على، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق مصطفى زيادة، ط دار الكتب المصرية، القاهرة 1934.

24) المنذري، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت 1981.

25) ابن هذيل، أبو الحسن علي بن عبد الرحمن، عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة، ط مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة 1969.

26) اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد علي بن سليمان، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط2، منشورات مؤسسة الاعلمي، بيروت.

27) ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب، تحقيق حسنين محمد ربيع ، ط دار الكتب المصرفية 1977.

28) ابن الوردي، زين الدين عمر، تتمية المختصر في أخبار البشر أو تاريخ ابن الوردي، تحقيق أحمد رفعت البدوي، ط1، دار المعرفة بيروت 1970.

مراجع أجنبية:

29) Lane – pool , Stanley Lane – Pool, Saladin and the history of the kingdom of kingdom of Jerusalem", Beirut, 1964.